عجين الفلاحة

ثروت مكايد - مصر

عندما دار بقرده على دور المدينة، قال له فتى لم يتجاوز العشرين:

- لا نحب القرود في مدينتنا..

- هذا قرد شاطر، وفي وسعه أن يعمل لكم عجين الفلاّحة..

- لكننا لا نحب القرود..

- ما جئت به إلا لأني أحبكم، وأحب أن يتفرج عليه الصبية في المدينة.. وقد أبني سيركا إن أعجبكم، وأنا واثق أنه سيعجبكم.

* * *

اشترى دارا، وبنى مصطبة، وجعل القرد يقفز من الشباك إلى المصطبة مع كل أذان، والصبية يتضاحكون، ويصفقون، ويصفرون، مما أشعل غضب الفتى الذي عقد عزمه على تقديم شكوى للسيد رئيس المدينة.

* * *

أذن له الحاجب بعد ثلاثة أيام، وحين مثل أمام السيد رئيس المدينة راعه أن وجد الرجل وقردُه يتلاعب، ويبصبص بعينيه الرماديتين اللامعتين، ورئيس المدينة يضرب كفا بكف عجبا من قدرة القرد على تغيير اتجاه حركته في الهواء في لا وقت! وقال دهشا:

- كيف لهذا القرد تلك القدرة الباهرة؟!

- سيدي.. هذه أرض مباركة.

وأردف بعد لحظة:

- أنا نفسي لم أتصور أن يحدث لنا هذا الخير في أرضكم المباركة..

التفت رئيس المدينة للفتى الذي تصاعد الدم إلى وجهه حتى أحاله جمرة.. وقال:

- انظر إلى قدرة القرد على القفز، وتغيير اتجاهه في الهواء!

- سيدي أنا.. أنا..

- من أنت؟

- أنا مواطن جئت أشكو...

قاطعه قائلا:

- في مثل هذا الوقت الذي أستريح فيه، وأشاهد القرد!!

- لكن مدينتنا تكره القرود..

تدخل الرجل في الحديث، وقد طأطأ رأسه قائلا:

- اسمح لي سيدي أن.. أن.. لا يهم.. هذا الفتى يسبني في الطرقات، ويسب قردي الطيب ونحن نسامحه كثيرا، وسأثبت له أن القرود تحب مدينتكم وتعدها بمثابة وطن لها.

* * *

انتشرت القرود في المدينة. لا أحد يدري كيف اجتمع رؤساء المدن المجاورة، وقرروا صنع (جبلاية) للقرود يستوطنونها على أن ذلك لم يغب عن فطنة عقلاء المدينة حتى

إن الفتى ذا العشرين عاما ذكر في حديث له مع ثلاثة من شبان المدينة:

- لقد وعدهم الرجل بمغانم كثيرة يأخذونها إن هم وافقوا على صنع (الجبلاية)..

- أخشى أنه لا طاقة لنا بالقرود..

قالها كهل في نحو الأربعين، وسدد ثالث رأيه قائلا:

- بالأمس تحرشوا بزوجتي، وأصروا على أن تقوم بعمل عجين الفلاحة..

وقال رابع:

- تذكروا أن أي محاولة للاعتداء عليهم ستستعدي علينا الأمم.

- والحل؟

قال الفتى:

- نقوم عليهم قومة رجل واحد.

- سيمنعنا رئيس المدينة..

- ولو منعنا..

- هذا جنون!.

* * *

بلسان عربي مبين تكلم القرد، مما عد معجزة المعجزات في زمن عقيم، وقال من نصبوه عليهم:

- نحن أصل هذا العالم، قد رد الرب لنا هيبتنا ومكانتنا في المدينة المقدسة.

مدينتنا.. اختارتها لنا السماء، وما ربطته السماء لا يحله إنسي من الرعاع. سنمد إليهم أيدينا بالسلم، ومن يقبضها، نقطعها.

تناقلت وكالات الأنباء خطبة زعيم القرود التي أطلقوا عليها «الخطبة المقدسة»، وذكرت - أي وكالات الأنباء- أن من حق القردة أن تكون لهم مدينة بعد أن ساحوا في الغابات، وفوق فروع الأشجار.

في صبح اليوم التالي لخطبة زعيم القرود، تحول رئيس المدينة إلى شاة كما تحولت كثرة كاثرة من سكان المدن الأخرى إلى نعاج، الأمر الذي عدته الدول الكبرى نتاج السوء الذي انحطت فيه تلك المدن، فمسخها الرب نعاجا.

طاردت القردة النعاج في الطرقات حتى اضطرتها إلى أن تقفز من فوق التل، فتتكسر عظامها، وتصبح طعمة لضواري البر والجو، وقال الفتى فيما يشبه الهمس:

- حذرتكم، ولم يصدقني أحد!

- لم يقف أحد معنا..

- من اعتمد على غير الله ذل..

- ما في رأسك صعب.

- ليس لنا خيار آخر.

- والعالم من حولنا؟

- لا يأبه العالم إلا بالأقوياء..

- لكنهم أقوى..

- نحن بالحق أقوى..

قال آخر:

- ألا تراه انتحاراً!!

- مرحبا بالموت في سبيله..

وقال رابع:

- ماذا تريد بالضبط؟

- أن نحرص على الموت، لتوهب لنا الحياة.

- لكننا قلة..

- غايتنا عظيمة، والمرء بما يطلب.

تلاقت أعينهم وأيديهم في رباط، في حين بدا من فوق الشاشة رئيس مدينة مجاورة، وهو يعمل عجين الفلاحة، فازداد عزمهم على المضي في الطريق ■